

قراءة سوسيولوجية لتاريخ الجزائر - المقاومة السياسية والثورة التحريرية نموذجاً -

A Sociological reading of Algerian History: the case of Political resistance and the liberation revolution

زيوش ياسين

المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2025-10-15 تاريخ القبول: 2025-12-18 تاريخ النشر: 2025/07/31

ملخص: نحاول من خلال هذا المقال التطرق إلى تاريخ الجزائر من خلال تسليط الضوء على إشكالية من أهم إشكاليات تاريخنا من خلال الاعتماد على مقاربة سوسيولوجية تعيد الاعتبار إلى النظرية الخلدونية وهي الأقرب إلى بناء أي تحليل للأحداث والوقائع التاريخية وسأحاول تسليط الضوء على مرحلة من أهم مراحل تاريخ الجزائر، ألا وهي مرحلة المقاومة السياسية والثورة التحريرية كنموذج لهذه المقاربة التي سنحاول من خلالها إعادة إحياء المفاهيم الخلدونية خاصة على مستوى الديناميكا المتمثلة في العصبية وعلى المستوى البنى الاجتماعية التي يمثلها الريف من خلال البداوة أو المدينة من خلال الحضر والدور الذي قام بتأديته والمساهمة في تحقيق حركية الأحداث المرتبطة بالمقاومة السياسية والأحداث والوقائع المرتبطة بالثورة التحريرية.

الكلمات المفتاحية: تاريخ الجزائر، المقاربة السوسيولوجية، النظرية الخلدونية، العصبية، البنية الاجتماعية، البداوة والحضر، الريف والمدينة، المقاومة السياسية، الثورة التحريرية، الديناميكا الاجتماعية

Abstract We aim through this article to address the history of Algeria by shedding light on one of the most significant issues in our national history. The study adopts a sociological approach that restores the relevance of Ibn Khaldun's theory, which remains the most suitable framework for analyzing historical events and phenomena. The focus will be on one of the most crucial periods in Algerian history — the era of political resistance and the liberation revolution — as a model for this approach. Through it, we seek to revive Khaldunian concepts, particularly in terms of dynamics

represented by asabiyyah (social cohesion or group solidarity), and in terms of social structures reflected in rural life through bedouin society and urban life through civil society. The article highlights the roles these structures played in shaping the dynamics of events related to political resistance and the occurrences linked to the Algerian liberation revolution.

Keywords: Algerian history ; Sociological theory; Khadunian theory; Asabiyyah(social cohesion); social structure; Rural and urban society; Bedouin and urban life; Political resistance; liberation revolution; Social dynamics.

زيوش ياسين zibouche.yacine@cu-tipaza.dz

1- مقدمة:

تعتبر الكتابة التاريخية وإعادة قراءة أحداث الماضي من أكثر المهام تعقيدا التي تواجه الباحث في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ تتطلب جهدا فكريا عميقا ورؤية تحليلية دقيقة، وتختلف مقاربات الباحثين في تفسير الوقائع والمراحل التاريخية باختلاف تخصصاتهم والمنطلقات النظرية والمقاربات العلمية المختلفة التي يستعملونها. ويعد علم الاجتماع من أبرز العلوم التي تسهم في منح الكتابة التاريخية طابعا موضوعيا نسبيا وتحليلا سوسيولوجيا، من خلال تحليلها للعلاقات والديناميكيات التي تشكل البنية الاجتماعية والعلاقات فيما بينها، وهي بدورها الإطار الحي الذي تتحرك داخله الأحداث التاريخية. وفي هذا السياق يعتبر تاريخ الجزائر نموذجا واضحا لتداخل التاريخ بالمجتمع، حيث تتجلى فيه البنى الاجتماعية التي تناولها ابن خلدون في حديثه عن البداوة والحضر. وقد كان لهاتين البنيتين دور حاسم في تشكيل مسار التاريخ الجزائري، سواء في مراحلها القديمة أو الحديثة. كما تجسد هذا التقابل لاحقا في مفهومي الريف والمدينة خلال مرحلتي المقاومة السياسية والثورة التحريرية، إذ شكل كل منهما قاعدة اجتماعية أساسية ساهمت في صنع أبرز الأحداث الوطنية في تلك الحقبتين المفصليتين من تاريخ الجزائر.

قراءة سوسيولوجية لتاريخ الجزائر - المقاومة السياسية والثورة التحريرية نموذجاً -

سنحاول التطرق إلى تاريخ الجزائر من خلال منهجية التحليل السوسيولوجي للبنى الاجتماعية وذلك من خلال تسليط الضوء على إشكالية من أهم إشكاليات تاريخنا من خلال الاعتماد على مقارنة سوسيولوجية تعيد الاعتبار إلى النظرية الخلدونية وهي الأقرب إلى بناء أي تحليل للأحداث والوقائع التاريخية وسأحاول تسليط الضوء على مرحلة من أهم مراحل تاريخ الجزائر، ألا وهي مرحلة المقاومة السياسية والثورة التحريرية كنموذج لهذه المقاربة التي سنحاول من خلالها إعادة إحياء المفاهيم الخلدونية خاصة على مستوى الديناميكا المتمثلة في العصبية وعلى المستوى البنى الاجتماعية التي يمثلها الريف من خلال البداوة أو المدينة من خلال الحضر والدور الذي قام بتأديته والمساهمة في تحقيق حركية الأحداث المرتبطة بالمقاومة السياسية والأحداث والوقائع المرتبطة بالثورة التحريرية، أما الأسباب التي جعلتنا نحاول إيجاد قراءة توفيقية وكاملة نحو هذا التحليل والقراءة والمقاربة السوسيولوجية هو ذلك الخطاب الشعبوي الذي يميز بيئتنا الاجتماعية عن أيهما كان له الدور البارز في تاريخ الثورة الجزائرية الريف أم المدينة؟ وأحياناً يتخلل ذلك الخطاب عن أي الجهات التي كانت أكثر مساهمة في الثورة ويبدو ان ذلك الخطاب تكمن وراءه ذاتيات الانتماء والمولد والإقامة أو التواجد في الحدث والواقعة وكل يحاول أن يرحح كفة على حساب كفة أيهما كان أكثر مساهمة في الثورة التحريرية الريف أم المدينة؟

واعتبره سؤالاً يعبر عن ذاتية إما الذين عاصروا الأحداث أو الذين جاءوا فيما بعد وحاولوا من خلفيات الانتماء إلى هذه البنى إبراز تلك المساهمة على حساب مساهمة أكثر من البنية الأخرى فنجد من يقطن الريف يصر على أن من صنع الثورة التحريرية هم أبناء الريف والبعض من ينتمي للمدينة يصر أن الثورة التحريرية هي ثورة المدينة وأن البنية الاجتماعية للحضر هي من صنعت الثورة التحريرية، أما الخطاب السياسي فهو خطاب توفيقى بأن من صنع الثورة التحريرية هو الشعب الجزائري بدون أي مقارنة علمية سواء كانت مقارنة سوسيولوجية أو مقارنة في مجال من المجالات

زيوش ياسين

العلمية الأخرى كالأنتروبولوجيا أو العلوم السياسية أو غيرها وأعتبر أن هذه المحاولة من خلال هذا المقال مقارنة ومحاولة لفهم ديناميكية البنى الاجتماعية وفق تحليل سوسيولوجي علمي وموضوعي.

أعتبر هذا الجدل وهذا السؤال من الأسئلة التي تثير الانتباه إلى تعلق الجزائري بانتمائه إلى البنى الاجتماعية بما تمثله من جدلية الأصالة والعصرية ويفتقد الواحد منا من خلال جاذبية الانتماء

والنموذج الحياتي المهيمن على حتمية الفرد في صناعة ذاتية التوقع وإلغاء الآخر ونجدها اليوم من خلال كذلك ما يظهر من مهارات ومزايدات على مواقع التواصل الاجتماعي وهذا ما لفت انتباهي

إلى أنه يجب إعادة تسليط الضوء على تاريخ الجزائر والأحداث والوقائع من خلال طرح موضوعي علمي مرتبط بتخصصي في علم الاجتماع ومقاربة سوسيولوجية أكثر توضيحا لآلية عمل البنى

الاجتماعية المعروفة في بلاد المغرب العربي والتي أشار إليها العلامة ابن خلدون من خلال كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" في

نظريته الأكثر شهرة ألا وهي نظرية الدولة مستعينا (ابن خلدون، بدون تاريخ، صفحة 136) بالمفاهيم التي طرحها وسأحاول الاستعانة بها لطرح مقاربي السوسيولوجية للأحداث التاريخية

لكل من المدينة والريف ودورها في المقاومة السياسية والثورة التحريرية كنماذج لهذه المقاربة سنحاول من خلال هذا المقال أن نبني موضوعا بطرح تحليلي سوسيولوجي يعبر عن الديناميكية التي تتميز بها

البنى الاجتماعية من خلال تجميع الأحداث والوقائع التاريخية ووفقا لاختلاف الأدوار ولكن تكاملها خدمة للقضية الجزائرية .

سنكون هنا أمام تساؤلات محورية في ذلك التقاطع بين ما هو سوسيولوجي وبين ما هو تاريخي بين ما هو وقائع تاريخية وأحداث ساهمت فيها البنى الاجتماعية والسؤال الذي نطرحه: هل يمكن أن

ينشأ النشاط السياسي في الريف؟، والجواب الذي يشكل تفييدا لهذه الفرضية سيكون "لا"، هل نشأت المقاومة السياسية في الريف؟ الجواب الذي سيشكل تفييدا لهذه الفرضية كذلك هو "لا"، لقد

نشأت المقاومة السياسية في المدن بعد أن فشلت المقاومات الشعبية التي تميزت بالمناطقية والجهوية

قراءة سوسولوجية لتاريخ الجزائر - المقاومة السياسية والثورة التحريرية نموذجاً -

والعصية إلى القبيلة أو العرش أو من خلال النزعة الدينية التي تعبر عن الولاء إلى طريقة ما أو إلى زاوية ما والتي فشلت أمام مجابهة الاستعمار الفرنسي أما على مستوى الحدث التاريخي نجد أن المقاومة السياسية بدأت تظهر نواتها في المهجر مع الطبقة العمالية من خلال "حزب نجم شمال إفريقيا" أو حزب الشعب "الذي نشأ في حاضرة الشرق الجزائري وهي قسنطينة والذي كان عملهم النضالي على المستوى السياسي، أما على المستوى التربوي والتعليمي ومحاولة مجابهة طمس الهوية والانتماء، فقد ظهرت جمعية العلماء المسلمين التي حاولت على المستوى القاعدي والاجتماعي محاربة الجهل والأمية والعصبيات التي استغلها الاستعمار الفرنسي وكل الخطاب الديني الشعبوي الذي يكرس الطقوس الدينية بدل الخطاب الديني التحرري.

لقد عملت جمعية العلماء المسلمين في أغلب الأحيان في الحواضر الجزائرية من قسنطينة في الشرق إلى العاصمة في الوسط إلى تلمسان في الغرب وأغلب الحواضر لإعادة إحياء الانتماء والهوية الجزائرية ومن خلال التركيز على التعليم والتثقيف ولكن كان كل ذلك تحت الرقابة الاستعمارية التي حاولت بكل الوسائل مضايقة وإيقاف أعضاء الجمعية والمناضلين من خلال ملاحقتهم ومن خلال حل الجمعية أو إيقافها في الكثير من المراحل التاريخية متخذة ذرائع الحرب العالمية الثانية أو نشاط الأحزاب السياسية والأعضاء الذين ينشطون في المجال السياسي أو بحكم أن الجمعية لها طابع ديني تعليمي وهذا ما ينافي البعد اللائكي أو العلماني لنظام الدولة الفرنسية ورغم ذلك شكلت الحواضر البيئة المناسبة لنشاط السياسي والنشاط التعليمي لما توفره من إمكانيات التجمع الفئة النخبوية التي تميزت إما بالتكوين على المستوى الداخلي من مؤسسات تمثلها الكليات أو الزوايا أو المدارس القرآنية أو التعليم المزدوج الذي تلقاه أو تلقته النخبة الجزائرية من خلال التحاقها بالمدرسة الفرنسية والتي أهلها للحصول على مناصب شغل في مؤسسات الإدارة الكولونيالية والاحتكاك بالنخب الفرنسية أو عن طريق الهجرة الاضطرارية من منطقة إلى أخرى بدافع البحث عن المعاش والأغلب

زيوش ياسين

كانت الهجرة من الريف إلى المدينة أو الهجرة نحو الخارج الطوعية أو القسرية مثل البحث عن العمل أو الدراسة أو القسرية كالمشاركة في الحرب العالمية الأولى والثانية، هذه الأحداث التي تتسم بالمتغيرات الديموغرافية والجغرافية والتي لها تأثير على طريقة التفكير ومنهج وأسلوب الحياة للإنسان وكان للجزائري نصيب من هذه المتغيرات التي تعج بالأحداث والوقائع وكان لهذا الوقع تأثيره على الوعي والنضج على مستويات الرؤية للعالم والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تتميز بها الديناميكا البشرية على المستوى العالمي وعلى المستوى الدولي. (حميدي، 2016، الصفحات 99-87)

2/أهمية الحواضر في التاريخ الجزائري: مرحلة المقاومة السياسية نموذجاً

كان لنشاط النخب الجزائرية كالعلامة الشيخ ابن باديس والعلامة الفضيل الورتيلاني والعلامة البشير الإبراهيمي والتوفيق المدني وآخرون من خلال تأسيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931 التي رفعت شعار "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا" والقيام بإحياء التراث والتاريخ الوطني من خلال كتابة المقالات والكتب التي تمجد التاريخ الجزائري وتفصح سياسة التزوير التي يحاول الاستعمار من خلالها طمس الهوية الجزائرية المرتبطة بالتاريخ الإسلامي وكذلك من خلال تنظيم تجمعات ونشاطات تمثلت في الملتقيات والمحاضرات والندوات الفكرية وإنشاء مدارس حرة لتعليم اللغة العربية والدين الأصيل بعيداً عن الخطاب الديني المنحرف والمتعامل مع الاستعمار الفرنسي وإرسال بعثات طلابية إلى المشرق العربي كجامع الزيتونة وجامع الأزهر لتكوين والتعليم. (حميدي، 2016، الصفحات 99-123)

على المستوى السياسي فقد نشأت الأحزاب الوطنية كحزب نجم شمال إفريقيا سنة 1926 بقيادة مصالي الحاج وجاء من خلال الفئة النخبوية التي تشكلت في المهجر من المغاربة الجزائريين والتونسيين والمغاربة وما لبث أن نشأ كذلك حزب الشعب الجزائري سنة 1937 وواصل النضال السياسي ضد الاستعمار من خلال تعبئة الطاقات المناضلة من أجل حقوق الشعب الجزائري وصولاً إلى المطالبة

قراءة سوسولوجية لتاريخ الجزائر - المقاومة السياسية والثورة التحريرية نموذجاً -

بالاستقلال التام للجزائر، حيث تم حله بحجة الحرب العالمية الثانية وحركة الانتصار والحريات الديمقراطية سنة 1946 التي انبثقت منها اللجنة الثورية للوحدة والعمل والمنظمة الخاصة التي مهدت لقيام الثورة التحريرية المباركة. (قداش، 2013، صفحة 54))

وكان للاحتجاجات والمظاهرات كمظاهرات الثامن ماي 1945 التي تحولت إلى مجازر دموية ارتكبتها الجيش الفرنسي وسقط فيها عشرات الآلاف من الجزائريين بمناسبة انتهاء الحرب العالمية الثانية وعلى أمل تغييرات سياسية بقناعة الاستعمار بالعمل السياسي وتحقيق المطالب السياسية التي ينادي بها الجزائريون من خلال النشاط الحزبي، حيث تكسرت آمال المطالب السلمية بنيل الحرية والحقوق على الإبادة الجماعية التي تعرض لها الجزائريون وعلى الذاكرة الجماعية لهذه المجازر المروعة التي راح قرابتها الخمسة وأربعون ألف ويزيدون والتي تركت أثر بالغ في الذاكرة الوطنية وفي ذاكرة الأجيال المتلاحقة

عن وحشية الاستعمار الفرنسي يطلق عليها بن جامين ستورا في كتابه *Histoire de l'Algérie coloniale 1830-1954* (Benjamin, 2012, p. 85)

Histoire de l'Algérie coloniale (1830-1954), 2012, p. 85

كان العمل السري من أهم العوامل التي ستؤدي إلى إنفجار الثورة التحريرية من خلال

التحضير لها على مستوى

النخب الناشطة في الحواضر والتي كان يجب عليها نقل الوعي السياسي والنضالي إلى البنية الريفية التي تعاني من فقر متقع ومن مآسي وانتشار الأمراض وسوء المعاش والكدح للحصول على لقمة العيش اليومي كما تعاني أكثر من الجهل بما يمثله من حالة معاناة لا مثيل لها لكل إنسان ميزه الله بعقل وكان لتأثير الجهل نصيب أوفر من كل تأثير على مستوى البنية الاجتماعية بصفة عامة وعلى الريف بصفة خاصة سواء في المناطق الجبلية الممتدة على طول الجغرافيا الأطلس التلي والصحراوي من الشرق الاوراس والوسط الشرقي جرجرة والوسط الغربي الظهرة والونشريس وصولاً إلى الغرب

زيوش ياسين

الجزائري وكل السلاسل الجبلية وعلى امتداد الهضاب العليا كسطيف وقسنطينة وقالمة وخراطة وكل ضواحي الحواضر والأرياف وعلى امتداد الجغرافيا الجزائرية والبيئة الصحراوية اللامحدودة من الاغواط إلى تمنراست وتندوف وبنشار وبسكرة إلى غاية تمنراست وأدرار وعين قزام وعين صالح. وكان العمل السري شكل من أشكال النضالي في المجال السياسي والعسكري فيما بعد هدفه التنظيم والتخطيط والتنفيذ لأعمال معينة لا يمكن القيام بها علنا بسبب القمع أو المراقبة والتخاير الاستعماري وكل خطوة كانت محسوبة لتفادي انكشافها امام السلطات الاستعمارية وأجهزة المخابرات والامن الاستعماري ولهذا تطلبت المسألة إعداد خلايا صغيرة فيما عرف تاريخيا بالمنظمة الخاصة. وكانت عبارة عن خلايا منفصلة كلت بالإعداد لثورة وهي خلايا منفصلة على بعضها، إذا تم كشف إحداها لا ينكشف التنظيم كليا وكان تتميز بالتكتم التام على جميع نشاطاتها وعلى المعلومات التي يطلع عليها كل فرد من أفرادها من خلال المهام التي يؤديها تحت مبدأ المعرفة على قدر الحاجة بحيث لا يعرف كل عضو سوى ما يلزمه لإنجاز مهمته وكانت من مهام هذه الخلايا الأولى التدريب والانضباط وفق التزام صارم بالقواعد الأمنية والحذر في التواصل، حيث أوكلت لها تجهيز المخابئ والسلاح وأماكن التجمع وتنظيم الخلايا الأولى لثورة التحريرية المباركة. (ولد قابلية، 2022، صفحة

72)

نشأت في المدن الجمعيات والأحزاب السياسية والوطنية وكانت المدن فضاءات للصحافة الوطنية وطباعة الكتب والمناشير لتوعية والمناشير السرية وتنظيم المظاهرات وتركز فيها التعليم من خلال المدارس الفرنسية التي التحق بها بعض الجزائريين المحظوظين او المدارس الحرة التي حاولت إعادة بناء الهوية الوطنية كالمدراس التي أسستها جمعية العلماء المسلمين في حواضر كقسنطينة، الجزائر، البليلة وتلمسان ووهران وكانت الحواضر مراكز للنقاش السياسي والفكري من خلال المقاهي والنوادي الثقافية والأدبية والسياسية كما كانت المدن قلب الانتفاضات الشعبية الكبيرة

قراءة سوسولوجية لتاريخ الجزائر - المقاومة السياسية والثورة التحريرية نموذجاً -

تميزت المدن بنخبها عكس الريف الذي يفتقد إلى هذه النخب وبالتالي يفتقد إلى الوعي النضالي بما يشكله ذلك الفارق بين نخب الريف ونخبة المدينة فالنخبة التي ميزت الحواضر تمتلك من المستوى التعليمي والتأثير الفكري والسياسي للمستجدات كقادة الأحزاب والجمعيات كالعلماء والأدباء والصحفيون والمحامون والقضاة والاطباء والمعلمون ، حيث تلقوا تعليماً في المدارس الفرنسية أو المدارس الحرة أو الزوايا وهي نخب احتكت بالإدارة الاستعمارية واحتكت بالمجتمع الكولونيالية وتولد لديهم نضج وفهم لطبيعة الاستعمارية وازدواجية تعاملها مع الجزائريين كنظام الأهالي الذي أقره القانون الاستعماري ومحاولة هذه النخب ممارسة النقد الفكري والسياسي من خلال نضالها التنظيمي أو من خلال طرح الأفكار الفردانية لنخبها من خلال نقد إلى الذات الاجتماعية الجزائرية التي تعاني من التخلف نتيجة استسلامها ونتيجة الجهل والأمية وعدم اهتمامها بالتعليم وبناء الوعي والنضال السياسي اللازم لاسترداد حريتها وسيادتها وهويتها. وفي نفس الوقت محاربة طمس الهوية وكل ما هو دخيل على المجتمع الجزائري من ثقافة غريبة اقصادية وفي نفس الوقت كانت أمام تحد من نوع خاص وهو استيعاب الثقافة الغربية بما تحمله من أسلحة العصر وذلك للارتقاء بالجزائري إلى العصرية واتخاذ الإجراءات التي تجعل منه يستوعب المتغيرات بين عصر الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية وما جرى من متغيرات على المستوى السياسة الدولية كظهور دول جديدة فاعلة على الساحة العالمية كالولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي بدل الاستعمار الفرنسي والبريطاني وكان للصحافة دور بارز مرتبط بمرحلة ما قبل وأثناء الثورة التحريرية

تعتبر المدن بوتقة التغييرات الاجتماعية والمدينة مكان لتسييس هكذا ترى مؤلفة كتاب جذور حرب الجزائر أني راي غولدزيغر (أني راي، 2012، الصفحات 72-78)

3/أهمية الريف في التاريخ الجزائري:مرحلة الثورة الجزائرية كنموذج

زيوش ياسين

كانت الطبيعة الجبلية و الوعرة لريف جغرافيا السلاسل الجبلية والهضاب الواسعة والشاسعة وفرت ملاذ آمن للمجاهدين وساعدت على ذلك البنية العصبية القبلية والبشرية التي تتميز بالخشونة والقسوة والقوة بيئة فالريف منبع للأصالة من خلال البنية الاجتماعية التي تمثلها القبيلة بمحركها للرابطة الدموية العصبية والعائلة الممتدة من خلال قيمها وأعرافها وتقاليدها والتضامن الآلي الذي يمثل ذلك التجانس الاجتماعي وكان الريف جغرافيا حرب التحرير التي اندلعت في الفاتح من نوفمبر 1954 وشهدت فيما بعد التحضير لمؤتمر الصومام وكان الريف أو المدن فضاء مناسب لشن حرب الكر والفر بما سمي عسكريا بحرب العصابات رغم أن الريف كان يفتقر ويعاني من النخبة التي يمكنها أن تصنع الوعي المناسب للمرحلة فالأرياف كانت عرضة للإقتلاع، وكانت معظم النخب الجزائرية تعود أصولها إلى الريف إلا أنها كان لا بد لها أن تلتحق بمناطق حضرية من خلال الهجرة الطوعية والقصرية في كثير من الأحيان لتشكل وتبني الوعي الجديد بمتغيرات العصر الحديث بما تطلق عليه أني راي غولدزيغر تسييس الأرياف. (أنى راي، 2012، الصفحات 78-83)

شكل الريف الخزان الديموغرافي الأساسي للثورة كحاضنة بشرية، حيث كان أغلب سكان الجزائر يعيشون في الأرياف والقرى وأغلب المجاهدين كانوا من أصول ريفية، ما منح الثورة كثافة بشرية واستمرارية في الإمداد بالمناضلين، أما العصبية القبلية ساعدت على تقوية التضامن الاجتماعي والتجانس، فكانت القبيلة أو العرش بمثابة شبكة دعم لوجستيكي لثورة وكان الريف كفضاء جغرافي استراتيجي من خلال التضاريس الجبلية الوعرة للأرياف الجزائرية (الأوراس، القبائل، الونشريس، الأوراس، النمامشة، جبال البابور وجرجرة والظهرة والأطلس البلدي والونشريس ووفرت خلفية لقواعد جيش التحرير والعكس في ذلك حيث وجد الاستعمار الفرنسي صعوبة كبيرة في السيطرة الكاملة على المناطق الريفية، ما جعلها ميدانا مستمرا للعمل المسلح والطبيعة الجغرافية مكنت المجاهدين من المناورة من خلال الكر والفر ونصب الكمائن بما يعرف حرب العصابات كما مثل الريف كقاعدة لوجستيكية واقتصادية حيث دعم سكان الريف الثورة بالإمدادات الغذائية، المأوى، والتموين حيث

قراءة سوسولوجية لتاريخ الجزائر - المقاومة السياسية والثورة التحريرية نموذجا -

تحولت بيوتهم وأراضيهم وحياتهم اليومية إلى جزء من منظومة الدعم الثوري ومثل الريف دور القاعدة الخلفية التي يستمد منها جيش التحرير قوته واستمراره، فالريف كرمزية للهوية والتضامن الآلي حيث ارتبط بالبساطة والأصالة والارتباط بالأرض، وهي رموز مركزية في الخطاب الثوري فالمدن كانت تحت رقابة مشددة من الإدارة الاستعمارية، بينما الريف بقي الفضاء الذي يعكس "الأمة الجزائرية الأصيلة" في نظر قادة الثورة وهذه الرمزية جعلت من الريف ليس مجرد مجال جغرافي، بل عنصرا هوياتيا لتعبئة الشخصية الوطنية الجزائرية برمزياتها التاريخية كجذور للهوية والدين والأرض وما تحمله من رمزية و هذا وفر خطاب لتعبئة الوطنية ضد التواجد الاستعماري (أني راي، 2012، الصفحات 84-86) حيث لم يكن الريف في الثورة الجزائرية مجرد مسرح جغرافي للأحداث، بل كان ركيزة أساسية في استمرارية الكفاح المسلح، من خلال دوره البشري، الجغرافي، الاقتصادي، والرمزي. وإذا كانت المدن قد أسست للوعي والتنظيم السياسي، فإن الريف وفر البيئة الاستراتيجية التي جعلت من الثورة الجزائرية حركة تحريرية شاملة وفعالة لكن كان هذا من خلال ديناميكية تسييس الريف الذي نجحت فيه النخبة التي فحرت الثورة التحريرية.

4/ديناميكية جبهة التحرير بين الحواضر والريف:

الذكاء الاستراتيجي لجبهة التحرير الوطني في إدارة الثورة التحريرية 1954-1962 وكيف استفادت من البنية الاجتماعية القبلية والحضر ومن الريف إلى المدن، فقد أدركت منذ الوهلة الأولى أنها بحاجة إلى جميع الجزائريين وان هناك سلبيات على مستوى البنى الاجتماعية يجب تجنبها وهناك مقدرات وإيجابيات يجب تعبئتها والاستفادة منها وذلك في إطار ديناميكي توظيف وبناء تكامل بين الدور البنى الاجتماعية في الريف والمدينة، حيث كان العمل على الريف من خلال بناء قاعدة عسكرية للثورة، فكان الريف الميدان الرئيس للعمليات العسكرية من خلال الطبيعة الجبلية فأنشئت نظام الولايات

زيوش ياسين

والمناطق والنواحي وهذا ما يظهر في التقسيم الجغرافي والمناطق إبان اندلاع الثورة والتقسيم المناطق بعد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956. (سعد، 1986، الصفحات 29--40)

ومثلت الأرياف والقرى حاضنة الدعم الشعبي واللوجيستيكي من خلال الإيواء وتوفير المؤونة وإسهام الريف الكبير في التجنيد الأساسي للمقاتلين ذوا الطبيعة القاسية والخشنة والذين يتحملون مشاق الكفاح ، كما كان الريف أهم مراكز التدريب والتخزين وقواعد الاستراحة المؤقتة بعد القتال وشكل الريف حرب العصابات وساحة المعركة بين قوات جيش التحرير الوطني والجيش الفرنسي . (بوبكر، 2011، الصفحات 55-78)

استطاعت جبهة التحرير الوطني بعد اشتداد التضيق على الريف من خلال العمليات الاستعمارية التي قام بها الجيش الفرنسي والإبادة الجماعية على سكانها، فنقلت المعركة من الريف إلى المدن ومثله في ذلك هجوم الشمال القسنطيني في ال 20 أوت 1955 الذي كان نقطة تحول في الثورة الجزائرية بعد محاصرة الريف، حيث انتقلت الثورة من فضائها الريفي إلى الفضاء الحضري فقد أدخل الشهيد القائد زيغود يوسف المدينة إلى قلب المعركة وأهمها قسنطينة وسكيكدة وقلمة والقل من خلال الهجوم على الكثير من مراكز الشرطة والدرك في هذه المدن ولأول مرة لم يعد القتال محدودا في الجبال ، بل إخترق قلب المدينة الكولونيلية التي اعتبرها الإستعمار حصن منيع له وكان لردة الفعل الفرنسية على المجتمع الجزائري الذي يقطن المدن عنيفة من خلال الإبادة الجماعية ومن خلال تسليط التعذيب الممنهج على سكان المدينة المنخرطين في الثورة والذين ألقوا الكثير بعد الهجوم القسنطيني على الالتحاق بالثورة وكان لذلك وقعه من خلال إدخال سكان المدن في حركية الثورة التحريرية أما في وسط البلاد فقد تم استحداث المنطقة المستقلة للجزائر العاصمة وتشكيل الخلايا التي أطلقت معركة الجزائر 1956-1958 وذلك من خلال العمل الفدائي الذي يعتمد على تنفيذ العمليات كالهجوم على مراكز الشرطة والمكاتب الإدارية والمالية لنظام الكولونيالي والانتقام بنقل المعركة للأحياء الكولونيلية بعدما تجرأ العدو على تفجير الأحياء الشعبية في الجزائر العاصمة مثلما حدث في القصبة

قراءة سوسولوجية لتاريخ الجزائر - المقاومة السياسية والثورة التحريرية نموذجاً -

سنة 1956، وقد برز العمل الفدائي وفي نفس الوقت كانت المدن دعماً لوجيستيكياً للريف فقد اعتبرت المدن مراكز لتمويل الثورة عبر جمع الأموال من التجار والمواطنين، ومراكز لمراقبة العدو وجمع المعلومات الاستخباراتية عن تحركات الجيش الفرنسي (زهرة، 2014، صفحة 171)

5/التكامل بين النضال في الريف والمدن

تكشف لنا المقاربة السوسولوجية المستندة إلى النظرية الخلدونية أن قراءة تاريخ الجزائر، وخاصة مرحلة المقاومة السياسية والثورة التحريرية تبرز أن المقاومة السياسية نشأت في الفضاءات الحضرية حيث تبلورت النخبة وتكون الوعي السياسي، بينما وفر الريف الأرضية الميدانية والعمق الاستراتيجي للثورة المسلحة بعدما تم تسييسه وتعبئة البنية الاجتماعية لالتحاق بالثورة التحريرية وهكذا فإن التكامل بين العصبية الريفية والتنظيم السياسي في المدينة هو الذي صنع ديناميكية التحرير الوطني، حيث تم تقسيم المجاهدين إلى ثلاث فئات رئيسية المجاهد، الفدائي والمسبل فالمجاهد يعمل على مستوى الريف في جيش التحرير، أما الفدائي فيعمل في خلايا في المدن وأما المسبل فهو ذلك الذي يعمل لجمع المعلومات ومراقبة تحركات العدو ودعم الثورة من حيث الإيواء والمؤونة والتمريض وتوفير مراكز الراحة...إلخ. (سعد، 1986، صفحة 222)

كان الذكاء الاستراتيجي لثورة هو جعل كل من الريف أو المدن جناحين للثورة التحريرية من خلال البنى الاجتماعية التي تشكل كل من البدو وهم سكان الريف والحضر الذين يشكلون سكان المدن فمثل الريف ذلك النسيج الاجتماعي المتجانس الذي يعتمد على العصبية ولا يشبه تلك العصبية إلا ذلك الوعي الجديد الذي تم تكثيفه من خلال فكرة الوطنية التي دعت إليها الأحزاب السياسية مشكلة الهوية المشتركة التي نادى بها واستت لها جمعية العلماء المسلمين من خلال فكرة الجزائر ووطننا، والتي نمت في الحواضر وكان لزاماً على المناضلين الأوائل نقلها إلى الريف لإعادة إحياء واسترجاع فكرة العصبية ولكن هذه المرة فكرة العصبية ليس للقبيلة وإنما العصبية للوطن وهذا ما جعل استنهاض

زيوش ياسين

العصبية للوطن والعصبية لدين يؤسس الهوية التي يجب الدفاع عنها وحمايتها وهذا ما نلمسه من خلال كل المراجع والمصادر التاريخية التي تؤكد هذا العمق التاريخي الحضاري وهذه الديناميكا السوسولوجية التي تحكم الوقائع والأحداث في تاريخ الجزائر كما يشير في ذلك جورج ليبكافي كتابه "السياسة والدين عند ابن خلدون" (جورج، 2008، صفحة 83)

لقد شهدت المدن أحداثا تاريخية بارزة أثناء الثورة التحريرية كمعركة الجزائر وانضمام فئة الطلبة لثورة الجزائرية وفئة العمال تحت مسمى اتحاد العام لطلبة الجزائريين والاتحاد العام للعمال الجزائريين وهنا يظهر ذلك الصراع الإيديولوجي الخفي بين ما يمثله المستعمر من قيم غربية رأسمالية ومحاولة استقطاب الفئة العمالية الجزائرية من طرف التيار الشيوعي الفرنسي ومحاولة تحوير أن المطالب الجزائرية ما هي إلا مطالب اجتماعية، وكان لزام على الثورة التحريرية أن تجعل من فئة العمال التي تمثل أغلب سكان الحواضر أن مطالبها تتعدى المطلب الاجتماعي إلى المطلب السياسي، ألا وهو الاستقلال الوطني. (زيري، 2019، الصفحات 73-76)

لقد استطاعت جبهة التحرير الوطني نقل المعركة إلى المدن من خلال إضراب الثمانية أيام، حيث شمل جميع المدن الجزائرية الكبرى الجزائر العاصمة، وهران، قسنطينة وعنابة، توقف العمال عن العمل وأغلقت المحلات وتوقفت وسائل النقل وشاركت فيه جميع الفئات عمال، طلبة، نساء ورجال وهو من أهم المحطات السياسية والنضالية لأنه مزج بين نضال الفئة العمالية ومطالبها الاجتماعية وكل فئات المجتمع الجزائري وأهمهم النخبة السياسية متمثلة في نداء وجهته جبهة التحرير الوطني وتلبية هذا النداء معناه أن المطالب العمالية تحولت إلى مطالب استقلال تحقيق الاستقلال الوطني وذلك بدعم تدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية ومن خلال إشراك الفئة العمالية في النضال من أجل نيل الاستقلال واسماع صوتها إلى بقيت العمال في العالم وتشكيل رأي عام دولي بأن الكفاح في الجزائر ليس كفاح مرتبط بصراع مع فئة مهمشة، بل هو صراع مع شعب بكل فئاته الاجتماعية، لقد استمر الإضراب في المدن الجزائرية من 28 جانفي إلى غاية 4 فيفري 1957، وكان الهدف منه دعم الثورة واسماع صوتها

قراءة سوسولوجية لتاريخ الجزائر - المقاومة السياسية والثورة التحريرية نموذجاً -

سياسيا وإعلاميا واثبات وحدة الشعب الجزائري، وقد جاء الإضراب في سياق تاريخي، حيث صعدت فرنسا من عملياتها العسكرية ضد خلايا جبهة التحرير الوطني في العاصمة بعد استدعاء قوات النخبة العسكرية كما يطلق عليها الاستعمار "معركة الجزائر" حيث كانت فرنسا تحاول إقناع العالم أن الثورة محدودة وأن الشعب غير ملتف حولها في المقابل كان على جبهة التحرير أن تثبت أن الثورة هي ثورة شعب وتمتد في كل الجغرافيا وفي كل الفئات الاجتماعية من خلال إثبات وحدة الشعب الجزائري الذي طمست هويته خلال قرن وثلاثون سنة (زهرة، 2014، الصفحات 335-342)

6/ إستراتيجية الإستعمار الفرنسي في محاولة القضاء على الثورة من خلال سوسولوجيا البنية الاجتماعية لريف والمدينة:

لقد حاول الاستعمار الفرنسي استخدام السوسولوجيا والأنثروبولوجيا بما عرف بالاستشراق لفهم المجتمع الجزائري والسيطرة عليه ولم يكتفي بذلك بل استخدمهما لتفكيك البنية الاجتماعية وذلك منذ الوهلة الأولى لسيطرة على الجزائر ومقدراتها وبسط نفوذه على المناطق الريفية وسكانها من خلال سياسة التهميش والتجهيل لتجنب انتشار الوعي الثقافي والتعليمي في الريف بغية جعل سكان الريف مجرد عبيد للأرض وفي خدمة الأرض لصالح الاقتصاد الاستعماري فأنشأ المزارع الكولونيالية التي تمثل شكل من أشكال الإقطاع بممارسة العبودية والقنية على الجزائري ومفاهيم الخماس أي أن الجزائري يعمل مجرد أن يقتات لقمة العيش اليومي التي لا تسكت جوعه ولا يحق له التعليم والتخلص من الجهل، لا يحق له أن ينال قسط من الراحة والاستقرار النفسي الذي يؤهله إلى التفكير وبناء وعيه وهويته والارتقاء السياسي والوظيفي والاجتماعي الجزائري وفق المدرسة الأنثروبولوجيا الفرنسية هو ذلك الإنسان المتوحش البربري الذي يجب استعمار له لتقديم له الحضارة بمعانيها الغربية ويشير البروفسور محمد الطيبي من خلال مؤلفه: الجزائر عشية الغزو الاحتلالي -دراسة في

زيوش ياسين

الذهنيات والبنيات والمآلات إن الاستعمار كان استعمارا منهجيا مارس التفكيك البنيوي من خلال مصادرات الأرض بالحرب والتلاعب بالقانون (محمد، 2009، الصفحات 189-226)

عمل الاستعمار منذ الوهلة الأولى لثورة الجزائرية على الإبادة الجماعية ومعاque سكان الأرياف، كلما وقعت معركة بمنطقة ما واشتد بطش الاستعمار بمطاردة الثوار في الجبال وكل من يأويهم ويقدم لهم المساعدة، ولكن مع اشتداد الثورة وإعادة تنظيمها والتحاق الكثير من سكان الأرياف بما بدأ يفكر في عزل الثوار ولهذا قام بوضع فكرة المحتشدات والمناطق المحرمة وهي حشد سكان الأرياف في محتشدات بعيدا عن أراضهم وقريب من ضواحي المدن والبلديات الكولونيلية، حتى يتسنى له عزل الثورة عن الدعم اللوجستيكي المؤونة والالتحام والتضامن الغير مسبوق بين الشعب الجزائري وبالضبط سكان الأرياف والثوار الجزائريين المتمثل في أبناء جيش التحرير الوطني وفي نفس الوقت حاولت النخبة العسكرية الفرنسية أن تستعيد تلك الفجوة بينها وبين السكان الجزائريين في الأرياف خاصة بعد مجيء ديغول ومحاولته إطلاق مشروع قسنطينة والمقابل طرحه لمفهوم سلم الشجعان بعد أن استطاع من إقامة المحتشدات وعزل المناطق الأكثر سخونة على مسرح العمليات العسكرية وبعد أن تمكن من بناء خط شال وموريس، وكان ذكاءا استراتيجيا من الاستعمار أن يحاول أن يخلق طابورا خامسا مواليا لفكرة الجزائر فرنسية مدافعا على هذه الفكرة التي روج لها منذ أن استقر في الجزائر. إلا أن لعب الأدوار بين النخب العسكرية التي حاولت عزل الثوار على سكان الأرياف واستقطابه نحو تحسين بعض الظروف المعيشية وذلك من خلال دور مسند إلى الإدارة الكولونيلية الذي باء بالفشل لأنها لم تلعب دورها نحو نظرة استعلائية ودونية إلى كل ما هو جزائري ومرتبطة به ورفض المعمرون تقديم تنازلات من حيث هرم الطبقة والطبقة الأوليغارشية التي كانوا ينظرون منها إلى أنفسهم وإلى الجزائري الذي كانوا ينعته بأحقر الأوصاف، وهذا ما جعل عملية عزل الجزائريين الذين يقطنون في الأرياف في محتشدات واستقطابهم تفشل فشلا ذريعا، فلم يوفروا لهم أدنى شروط الحياة وتركتهم الإدارة الاستعمارية الكولونيلية يموتون جوعا ومرضا، مما جعل أغلبهم يفرون منها ويلتحقون بضواحي شبه حضارية

قراءة سوسولوجية لتاريخ الجزائر - المقاومة السياسية والثورة التحريرية نموذجاً -

كولونيلية وبالحواضر الكبرى، مما زاد الضغط على حياة الجزائريين الذين يقطنون المدن. وبعد هذا التضيق الممارس من السلطات الفرنسية ودخول الثورة محطاتها من الفعل ورد الفعل والتصعيد بالتصعيد ولأن الاستعمار بسياسته العامة كان إبادة الشعب الجزائري، انتقلت وتحولت المعركة والحرب في الجزائر بين معادلة جبهة التحرير الوطني وجيشها المتمثل في جيش التحرير الوطني إلى انتفاضة شعبية عارمة في المدن الجزائرية وشملت الكثير من المظاهرات أشهرها مظاهرات 11 ديسمبر 1960 وهي انتفاضة شعبية واسعة قام بها الجزائريون في عدة مدن ضد الاستعمار الفرنسي دعماً لثورة الجزائرية ودعمًا لجيش التحرير الوطني وفك الخناق عليه ونقل المعركة من الريف إلى المدن وتدويل القضية الجزائرية ودعمها في المحافل الدولية كالأمم المتحدة والرأي العام العالمي ودعم سياسي لجبهة التحرير الوطني والوفد المفاوض لها، خاصة عندما تم طرح قضية فصل الصحراء على الجزائر واستمرت من 11 ديسمبر إلى غاية 17 ديسمبر 1960 وتلتها مظاهرات أخرى في أنحاء البلاد، وقد جاءت المظاهرات أثناء زيارة الرئيس الفرنسي شارل ديغول للجزائر ليروج لفكرة ومشروع الحكم الذاتي داخل إطار السيادة الفرنسية، رفضت جبهة التحرير الوطني المشروع واعتبرته التفاف ومحاولة إجهاد مطلب الاستقلال التام، فخرج آلاف الجزائريين يهتفون الجزائر مسلمة، الجزائر مستقلة برفع الرايات الوطنية النجمة والهلال وانتقلت المظاهرات إلى فرنسا وقلبها باريس من خلال مظاهرات 17 أكتوبر 1961 في فرنسا وهذا ما يبين كيف انتقلت الثورة من الريف إلى المدينة وتحولت إلى انتفاضة شعبية عارمة لم يستطع الجيش الفرنسي إخمادها، خاصة عندما انتقلت إلى الداخل الفرنسي بفضل العمال المهاجرين إلى فرنسا والتفاف فئة المهاجرين حول المطالب والتضامن مع شعبهم في الداخل، مما أدى إلى تدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية. (بوضرية، 2022، الصفحات 279-292)

لقد خرج آلاف الجزائريين المهاجرين في فرنسا وخاصة في العاصمة باريس ومحيطها من الضواحي، حيث قامت الشرطة بقمع المظاهرات بالقوة من خلال إطلاق الرصاص على مدنيين وقمعتها بوحشية

زيوش ياسين

ومن خلال الضرب المبرح القاتل وقامت بإلقاء متظاهرين سلميين في نهر السين وتسببت هذه الحوادث في مقتل المئات رغم عدم اعتراف فرنسا بأرقام الضحايا
لقد أدت الأحداث المتتالية إلى اعتراف فرنسا الرسمية بحق تقرير المصير للجزائريين وأطلقت مفاوضات سرية وعلنية، مما أدى الى تضارب في وجهات نظر النخب العسكرية والسياسية وحتى المثقفة وساهم هذا فيما بعد في صراع العسكريين الفرنسيين فيما بينهم، خاصة تلك الفئة الأوليغارشية من المستوطنين المعمرين التي حاولت الانضمام إلى العسكريين من خلال حادثة الانقلاب ضد شارل ديغول سنة 21-22/أبريل 1961 المعروفة بمحاولة الانقلاب الجنرالات في الجزائر (Putsch des généraux).

كان من الواضح أن ديغول يتجه نحو التفاوض مع جبهة التحرير الوطني لإنهاء الحرب في الجزائر، وقد أعلن عن حق الجزائريين في تقرير المصير وهو ما أعضب المستوطنين الأوروبيين في الجزائر أو ذوي الأقدام السوداء وكبار قادة الجيش الفرنسي من أمثال موريس شال (Maurice challe)، راوول سالان (Raoul salan)، أندريه زيلر (André zeller)، إدمون جوهر (Edmond jouhaud) ورأى هؤلاء أن ديغول قد تخلى على فكرة الجزائر فرنسية التي قاتلوا من أجلها، حيث سيطر الإقلابيون على المنشآت الحساسة في الجزائر كمقر الحاكم العام، الإذاعة، المطار وأعلنوا رفضهم لسياسة ديغول وأنهم سيحمون الجزائر الفرنسية، إل أن المحاولة باءت بالفشل وذلك يوم 25 أبريل 1961، أنتهت المحاولة بالاعتقال، بينما فر الجنرال راوول سالان إلى منظمة الجيش السري OAS، حيث حاول الكثير من المستوطنين قمع المظاهرات من خلال منظمة الجيش السري وتدخل الجيش الفرنسي بعنف من خلال الاعتقالات الجماعية ومن خلال إطلاق الرصاص على مظاهرات سلمية تحولت إلى مشدات عنيفة، سقط خلالها مئات وآلاف الجزائريين بين قتلى وجرحا ومعتقلين وتأكد أن الجزائريين أسقطوا نهائيا مفهوم الجزائر فرنسية وأن الجزائر جزائرية ولن يقبلوا إلا بالاستقلال التام والكامل السيادة وأدى هذا إلى إضعاف موقف المستوطنين والأقدام السوداء ودعمت موقف

قراءة سوسيولوجية لتاريخ الجزائر - المقاومة السياسية والثورة التحريرية نموذجاً -

جبهة التحرير الوطني كممثل شرعي وحيد للشعب الجزائري وأقنعت ديغول أن المخرج الوحيد للأزمة هو الاستقلال التام ولقد انتشر صدى المظاهرات والانتفاضة الشعبية في وسائل الإعلام العالمية ورفع الروح المعنوية للشعب الجزائري وللوفد المفاوض وعزز ذلك التلاحم بين أفراد وفتات وتنظيمات والبنى الاجتماعية للمجتمع الجزائري في الداخل والخارج. (Benjamin, Histoire de la guerre d'algérie(1954-1962), 2012, pp. 58-60)

خاتمة:

من قراءتنا السوسيولوجية لتاريخ الجزائر من خلال مراحل المقاومة السياسية كنموذج والثورة التحريرية من خلال مساهمة البنى الاجتماعية في صناعة مراحل تاريخ الجزائر وذلك من خلال مقارنة سوسيولوجية تستلهم النظرية الخلدونية وتعيد لها ألقاها لا تزال من أهم النظريات التي تفسر الديناميكا الاجتماعية، بما تقدمه من أدوات تحليلية قادرة على تفسير ديناميكيات الريف والحضر والعصبية، وعلى إبراز التفاعل الجدلي بين البداوة والحضر في مسار التاريخ، ومن هذا المنظور سلطنا الضوء على مرحلة المقاومة السياسية ثم الثورة التحريرية كنموذج يتيح لنا إعادة إحياء الأحداث والوقائع من منطلق أن تلك الوقائع والأحداث كانت إما في الريف وإما في المدينة وما حملته من طاقة اجتماعية ديناميكية والدافع وراء هذه المقاربة يتمثل في محاولة تجاوز الخطاب الشعبوي السائد، الذي يختزل الإشكالية في سؤال تبسيطي من كان له الدور الأبرز في الثورة الجزائرية، الريف أم المدينة؟ خطاب لا يخلو من إنحيازات ذاتية مرتبطة بمكان الميلاد أو الانتماء الاجتماعي، حيث يسعى كل طرف إلى ترجيح مساهمة بنيته على حساب الأخرى، لكن وحده التحليل السوسيولوجي لتاريخ الجزائر وبمقاربة نظرية يوفرها ابن خلدون بقرون سبقت عصره تستطيع أن تساهم في تقديم إجابات علمية وتحليل سوسيولوجي إن هذه الجدلية تعكس التشبث بالانتماء إلى الريف أو إلى المدينة وهذه المسألة تشكل في كثير من الأحيان عاملاً لإعادة إنتاج النزعات الذاتية، بل إن هذه الظاهرة لا تزال حاضرة اليوم في الفضاء العام

زيوش ياسين

وحتى من خلال فضاءات النقاش على وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يعاد استدعاء الانقسامات نفسها في شكل مزايدات لفظية ومهارات تفتقر إلى الأساس العلمي. وهذا ما يجعل من الضروري إعادة قراءة تاريخ الجزائر بأدوات سوسولوجية تستند إلى مرجعية مثل المرجعية الخلدونية، التي درس من خلالها ابن خلدون آليات العصبية والدولة والبنى الاجتماعية في كتابه الشهير العبر وديوان المبتدأ والخبر.

إذن : إذا عدنا إلى سؤال النشأة، نجد أن المقاومة السياسية لم تظهر في الريف، فالريف ظل مرتبطا بالمقاومات الشعبية ذات الطابع العرشي أو الطرقي أو الديني، والتي عجزت عن مواجهة الاستعمار الفرنسي بفعل طابعها الجهوي الضيق وفي المقابل تبلورت المقاومة السياسية في الفضاءات الحضرية، حيث وجدت النخب شروطا أفضل للتعينة والتنظيم والتفكير الاستراتيجي ولقد وفرت المدن إمكانيات موضوعية للنشاط السياسي والتعليمي ووجود نخبة مزدوجة الثقافة بفضل المدارس الفرنسية والتعليم الديني العصري، واحتكاك مباشر بالإدارة الكولونiale، إضافة إلى الديناميكيات الديموغرافية المرتبطة بالهجرة الداخلية والخارجية، سواء كانت اختيارية أو بحثا عن العمل والدراسة، أو قسرية عبر المشاركة في الحربين العالميتين. هذه التحولات فتحت أمام الجزائريين افقا جديدة في التفكير والعمل، وأثرت بعمق في وعيهم السياسي والاجتماعي. لكن الثورة التحريرية التي انطلقت سنة 1954 أعادت الاعتبار للريف، الذي تحول إلى الحاضنة الميدانية الأساسية للفعل المسلح، بما وفره من تضاريس ومجال استراتيجي وطاقات بشرية متماسكة بفضل العصبية القبلية. وهكذا يتضح أن العلاقة بين الريف والمدينة لم تكن علاقة تفاضل أو إقصاء، بل علاقة تكامل: فالمدينة شكلت قاعدة التكوين والتنظيم السياسي والفكري، بينما وفر الريف المجال الحيوي لاستمرارية الكفاح المسلح.

إن هذه المحاولة في المقاربة والفهم والتحليل والنظر إلى الأحداث التاريخية والوقائع من خلال القراءة الخلدونية السوسولوجية لتاريخ الجزائر تكشف أن الثورة لم تكن نتاج ستاتيكا البنية الاجتماعية بقدر عمل هذه الثنائية على بلورة تكامل واختلاف الأدوار وتكامل وظيفي في نجاح المشروع الوطني

قراءة سوسولوجية لتاريخ الجزائر - المقاومة السياسية والثورة التحريرية نموذجاً -

ولم يكن ليتم لولا هذا التفاعل الجدلي بين الحضر والريف، بين النخبة المدينة والعصبة الريفية، في إطار وحدة وطنية تاريخية صنعت استقلال الجزائر.

قائمة المراجع:

- 1- أبو بكر الصديق حميدي. (2016). دراسات في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 2- الطيبي محمد. (2009). الجزائر عشية الغزو الإحتلالي-دراسة في الدهنيات والبنيات والمآلات (الإصدار الطبعة الأولى). الجزائر: دار ابن النديم للنشر والتوزيع.
- 3- حسين زيري. (2019). مساهمة في سوسولوجيا النقابية في الجزائر-الإرث التاريخي والإستراتيجيات (الإصدار الطبعة الأولى). الجزائر: منشورات دار الخلدونية.
- 4- حفظ الله بوبكر. (2011). التموين والتسليح 1954-1962. الجزائر: طاكسيج. كوم للدراسات والنشر والتوزيع.
- 5- دحلب سعد. (1986). المهمة المنجزة من أجل إستقلال الجزائر. الجزائر: منشورات دحلب.
- 6- دحو ولد قابلية. (2022). بوصوف والمالغ الوجه الخفي للثورة. الجزائر : دار القصبه للنشر.
- 7- ظريف زهرة. (2014). مذكرات مجاهدة من جيش التحرير الوطني-منطقة الجزائر المستقلة-. (محمد ساري، المترجمون) الجزائر: منشورات الشهاب.
- 8- عبد الرحمان ابن خلدون. (بدون تاريخ). مقدمة ابن خلدون للكتاب المسمى كتاب العبر وديوان المتبدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- 9- عمر بوضرية. (2022). المعركة الدبلوماسية للثورة الجزائرية-جهود الوفد الخارجي (1954-1958) (المجلد الجزء الأول). الجزائر: دار عيلان للطبع والنشر والتوزيع.
- 10- غولديغر أني راي. (2012). جنود حرب الجزائر 1940-1945 من مرسى الكبير إلى مجازر الشمال القسنطيني. (لبنان ورده ، المترجمون) الجزائر: دار القصبه للنشر.

زيوش ياسين

- 11-ليبكا جورج. (2008). *السياسة والدين عند ابن خلدون*. (وهبي موسى ، و دويهي شوقي، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الوطنية للإتصال والإشهار-دار الفرابي.
- 12-محفوظ قداش. (2013). *نجم شمال إفريقيا 1926-1937 وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
- 13-Stora Benjamin. (2012) *Histoire de la guerre d'algérie(1954-1962)* (vol2) Algérie: Hibréditions.
- 14-Stora Benjamin. (2012) *Histoire de l'Algérie coloniale(1830-1954)* (vol1) algérie: Hibr édition.